

266066 - مدى صحة القول بأن على أهل السنة أن لا يصفوا أنفسهم بهذا الوصف، وأن يكتفوا بصفة الإسلام فقط

السؤال

أود أن أخبركم بمسألة أهمنتي، وأنا أشعر بالذنب ، المسألة وما فيها : أني كنت أتناقش أنا وعمي حول مسألة السنة والشيعة علما بأنني سني ولست شيعيا ، وقد قلت له : إنه في الإسلام لا توجد لا سنة ولا شيعة ، بحيث عندما يسألك أي شخص هل أنت سني أم شيعي فقل : أنا مسلم ، أمتثل أوامر الله والرسول ؛ لقول الله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا) ، وقلت له أيضا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال 73 طائفة في النار إلا واحدة ، وقد قلت له هذا القول بعد مشاهدي لأحد الفيديوهات للداعية الدكتور ذاكر نايك ، وأنا أحب الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحب الصحابة ، وأمنا عائشة رضي الله عنهم ، لكنني الآن أشعر بالذنب ، أشعر أنني أخطأت في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لما قلت لعمي لا تقل أنتمي لتلك طائفة أو لتلك الطائفة عندما تمثل لأوامر الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فقل : أنا مسلم ؛ لأن كلمة مسلم أفضل ، ومن لا يمتثل ، وفرقوا دينهم فدعهم إلى الله سبحانه وتعالى ، أود أن أسألكم هل أنا مذنب ؟ وهل أنا مخطئ في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لأنني أشعر كثيرا بالذنب بسبب قولي هذا ، أتمنى أن تجيبوني في أقرب فرصة .

الإجابة المفصلة

أولا:

"المسلم" هو اسم اختاره الله تعالى لكل من استجاب لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى:

(وَجَاهُهُوا فِي اللَّهِ حَقًّا جَهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلْهَةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا) الحج / 78.

قال ابن كثير :

" عن ابن عباس في قوله: (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) قال: الله عز وجل. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدسي، وقتادة، ومقاتل بن حيان ...

قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر، (وفي هذا) يعني: القرآن. وكذا قال غيره.

قلت: وهذا هو الصواب " انتهى، من "تفسير ابن كثير" (5 / 456).

وعن الحارث الأشعري، أَنَّ الشَّيْءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (وَمَنْ أَدْعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنُّهُمْ).

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟

قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَأَدْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّا كُمْ؛ الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ).

رواه الترمذى (2863) وقال : "هَذَا حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيحٌ عَرِيبٌ". وصححه الألبانى فى "صحىح سنن الترمذى".

وكان هذا الاسم كافياً في تمييز المسلم لنفسه عن النصارى واليهود والمشركين، إلى أن نشأت فرق تنتسب إلى الإسلام، لكنها تشقق الله ورسوله وتدخل في دين الإسلام ما ليس منه، كالشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرها من الفرق التي توالى ظهورها بعد ذلك، فهنا احتاج المسلمين المتبعون لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، أن يميزوا أنفسهم عن أهل الضلال والبدع، فأخبروا عن أنفسهم بوصف محمود في الشرع يحبه الله ورسوله، وهو اتباع سنة وطريق النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، وحرصهم على اجتماع كلمة المسلمين، ولكنه الاجتماع على الحق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم.

عن العرباض بن سارية، قال: (وَعَطَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَادَةِ الْعَدَدِ مَوْعِدَةً بَلِيقَةً دَرَقْتُ مِنْهَا الْعُيُونَ وَوَجَلْتُ مِنْهَا الْقُلُوبُ).

فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِدَةً مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدْ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبَدْ حَبَشَيِّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشُ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا صَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْنَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالْتَّوَاجِذِ) رواه الترمذى (2676) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيحٌ" ورواه أبو داود (4607)، وابن ماجه (43).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقُتْ عَلَى ثَيَّبَيْنِ وَسَبْعِينَ مَلْهَةً، وَتَفَرَّقَ أَمْتَي عَلَى ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ مَلْهَةً، كُلُّهُمْ فِي التَّارِ إِلَّا مَلْهَةً وَاحِدَةً).

قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي (رواه الترمذى (2641)، وحسنه الألبانى فى "صحىح سنن الترمذى".

وعن معاوية بن أبي سفيان، أَنَّهُ قَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَيَّبَيْنِ وَسَبْعِينَ مَلْهَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلْهَةَ سَتُفَتَّرُ عَلَى ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ ثَيَّبَانِ وَسَبْعُونَ فِي التَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَمَاعَةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ) رواه أبو داود (4597). وحسنه الألبانى فى "صحىح سنن أبي داود".

ومن هنا صار أتباع الطريقة الأثرية النبوية المحمودة يتميزون بهذا الوصف المحمود "أهل السنة" ، "أهل الحديث والأثر" ، أو : "أهل السنة والجماعة".

قال شیخ الإسلام ابن تیمیة رحمه الله :

"ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرین على سماعه أو كتابته أو روایته؛ بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن".

وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث، والبحث عنهم وعن معانيهما، والعمل بما علموا من موجبهما؛ ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم ...". انتهى، من "الانتصار لأهل الحديث" (140-141).

ثم تتبع أهل العلم على استعمال هذا الوصف ووصف العقيدة الصحيحة بعقيدة أهل السنة والجماعة.

كما قال شیخ الإسلام ابن تیمیة رحمه الله تعالى :

"وطريقتهم - يعني أهل السنة - هي دین الإسلام الذي بعث الله به محمداً صلی الله علیه وسلم. لكن لما أخبر النبي صلی الله علیه وسلم : (أن أمته ستفترق على ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة - وهي الجماعة -) وفي حديث عنه صلی الله علیه وسلم أنه قال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) : صار المتمسكون بالإسلام الممحض الخالص عن الشوب: هم أهل السنة والجماعة" انتهى، من "مجموع الفتاوى" (3 / 159).

سئل الشیخ عبد العزیز بن باز رحمه الله :

"حصل عند بعض الشباب إنكار للتسمی بالتأثر والانتساب إلى الأثر، ويقولون: إن هذه النسبة تفرق المسلمين، فهل هذا صحيح أم أنها مجرد نسبة إلى حديث النبي -صلی الله علیه وسلم- وإلى الحق، وخاصةً أن بعض العلماء الأعلام كالحافظ العراقي تسمی بذلك، هل صحيح أنكم تراجعتم عن التسمی بذلك؟

فأجاب رحمه الله :

"لا أعلم حرجاً في ذلك، إذا قال أنه أثري أو يحکي عن فلان أنه أثري إذا كان صحيحاً، إذا كان يعتمد الأحاديث النبوية والسنّة المطهرة، وي sisir على نهج السلف الصالح فإنه يقال أثري أو يقال من أهل السنة والجماعة، كل هذا لا حرج فيه ودرج عليه أهل السنة، إذا كان صادقاً في ذلك. معنى هذا أن سماحتكم لم يتراجع؟ أنا ما تسمیت الذي سماني بعض الناس، ما قلت عن نفسي أنني أثري، إنما بعض الناس قال عني ذلك. وو وجد في بعض الكتب؟ قال عني بعض الناس ذلك، أما أنا أقول نعم، أنا إن شاء الله من أهل السنة والجماعة، وأنا إن شاء الله أثري أقوله الآن".

فالحاصل أن انتساب المسلم إلى "أهل السنة" ، تمیزها لنفسه عن أهل البدع : هو تصرف صحيح ومشروع؛ قد جرى عليه أهل العلم من قدیم ، دون نکیر .

وتتأكد المشرعية : إذا دعت الحاجة إليها ، حاجة التمييز في المقالة ، وعدم اختلاط القول والاعتقاد والسلوك : بطرائق أهل البدع .

من غير أن تكون الموالاة والمعاداة معقودة على نفس الأسماء ، بل الواجب تحرير أصل الحب والبغض ، والموالاة والمعاداة : أن يكون ذلك كله في الله ، ولله .

والمدح المطلق : إنما يكون بما مدح الله ورسوله به .

والذم المطلق : إنما يكون بما ذم الله ورسوله به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم ، والحب والبغض ، والموالاة والمعاداة ، والصلة واللعنة = بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك ؛ مثل أسماء القبائل والمدانين والمذاهب والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ؛ ونحو ذلك مما يراد به التعريف .

كما قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقال تعالى: (الآء أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (الذين آمنوا و كانوا يتقوون) ، وقال: (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء؛ إنما ولني الله وصالح المؤمنين) وقال (ألا إن أوليائي المتقون حيث كانوا ومن كانوا) وقال: (إن الله أذهب عنكم عببة الجاهلية وفخرها بالأباء. الناس رجال: مؤمن تقي وفاجر شقي ، الناس من آدم وآدم من تراب) ، وقال: (إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض: إلا بالتقى) .
فذكر الأزمان والعدل بأسماء الإيثار والولاء والبلد .

والانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره ؛ فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة : فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه وسلطانه كتابه .

فمن كان مؤمنا : وجبت مواتاته ، من أي صنف كان .

ومن كان كافرا : وجبت معاداته ، من أي صنف كان .

قال تعالى: (إنما ولهم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة وبيوتهم الزكاة وهم راكعون) (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) ، وقال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) ، وقال تعالى: (لا تتخذوا عدوكم وعدوكم أولياء) ، وقال تعالى: (أفتقذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلًا) ، وقال تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) .

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور: أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي، كما ي قوله الخوارج والمعتزلة، ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة ... فهذا الكلام في الأنواع." انتهى، من "مجموع الفتاوى" (227/229).

ثانياً:

وأما قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَرَّقُوا) آل عمران (103)، فكلمة (وَلَا تَنَرَّقُوا) قد فسرتها الكلمة التي قبلها (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)، وحبل الله تعالى هو الإسلام وما جاء به الوحي من كتاب وسنة، فالتفرق إنما يحصل بترك الاعتصام بحبل الله تعالى.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

"فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين. هذا معنى الآية على التمام" انتهى، من "الجامع لأحكام القرآن" (5/251).

فمن اعتصم بحبل الله تعالى، وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من قرآن وسنة، ودعا الناس إليهما، وفارق وأنكر على من خالفهما، وحذر منه: فهو على هذه الحال معتصم بحبل الله تعالى، غير مفرق، بل هو محمود وموهود بالجنة، وموصوف بأنه مع الجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"فإن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أمته ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فدل على أنها لا بد أن تفارق هذه الواحدة سائر الاثنين وسبعين فرقة.

قلنا: نعم، وكذلك يدل الحديث على مفارقة الشنتين وسبعين بعضها بعضاً، كما فارقت هذه الواحدة" انتهى، من "منهج السنة" (3/466-467).

ونسأل الله تعالى لنا ولكم أن يعفو عننا وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.
والله أعلم.